



العدد / ١٢٩
التاريخ ٨١/٤/٢٠١٦ م

الى / أ.د. عبد الله حبيب التميمي المحترم

راما عبد الجليل راضي المحترمة

م/ قبول نشر

تحية طيبة ...

يسر حياة تحرير مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية أن تعلمكم بقبول نشر بحثكم الموسوم بـ :
(مفارقة البناء اللغوي في الرواية العراقية المعاصرة) في الاعداد القادمة .

أ.د. سرحان جفات سلمان

رئيس التحرير

٢٠١٦٨١/٤



نسخة منه الى:

- أمانة التحرير.

- الصادرة .

- وحدة الرقابة.

جامعة القادسية

كلية التربية

قسم اللغة العربية

مفارقة البناء اللغوي في الرواية العراقية المعاصرة

الباحثة: راما عبد الجليل راضي

إشراف أ.د عبد الله حبيب التميمي

ملخص باللغة العربية

يتناول هذا البحث (مفارقة البناء اللغوي) في الروايات العراقية المعاصرة, وهو موضوع حري بالدراسة جدير بها, ولم يحض بدراسة مستقلة فيه, وقد اشتمل هذا البحث على ثلاث قضايا:

الأولى: أهمية اللغة الروائية, بوصفها الركيزة الأولى في البناء الفني الروائي .

والثانية: مستويات اللغة الروائية, وهي مسألة يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار إذا ما طرح موضوع البناء اللغوي.

والثالثة: مفارقة البناء اللغوي, ويقصد بها:

استعمال اللغة بطريقة غير مألوفة, وذلك عن طريق التناقض بين شخوص الرواية ومستواهم الثقافي والفكري والاجتماعي.

Summary in English

This research deals with (irony linguistic construction) in contemporary Iraqi novels, fiction paradox behooves the subject of the study is worth it, not prompting an independent study which has included the research on three issues:

First: the importance of narrative language, as the first pillar in the artistic construction novelist:

The second: the novelist language levels, an issue which must be taken into account if the topic of linguistic construction.

And third: the paradox of linguistic construction, and are intended to:

Use of language in an unusual way, through the contrast between the characters of the novel cultural, intellectual and social level.

أولاً- أهمية اللغة الروائية:

تعدّ اللغة في الرواية الركيزة الأولى والأهم في البناء الفني, فهي من تقع على عاتقها بناء عناصر الرواية كالشخصية والزمان والمكان, وهي تبني الحدث الذي يجري في هذه العناصر.

وتأتي هذه الأهمية من كون اللغة تعطي لفعل السرد شكله الأدبي, وتنفخ فيه روحه التي يعيش بها.

وبالرغم من هذه الأهمية إلا أن مسألة اللغة الروائية تكاد شبه مغيبة عن الدرس النقدي (1), وأن النظر إليها على أنها أداة للتعبير, أو وسيلة للتصوير, هي نظرة قاصرة لم تعطها حقها؛ لأنها صورة الفكر وأداته, بها نفكر ومن خلالها نتواصل, وعن طريقها نعبر (2), ولغة الروائي أشبه بنوطة الموسيقى أو ريشة الرسام؛ لأنها تحمل أفكار الروائي ومضامين كتابته.

ومن الجدير بالذكر أن البناء الروائي له صياغة مميزة تكون مختلفة عن كل الأجناس الأدبية الأخرى, فـ" الخطاب الروائي لا يمكن أن يتحدد بالحكاية فحسب, بل بما يتضمن من (لغة) توحى بأكثر من الحكاية, وأبعد من زمانها ومكانها ومن أحداثها وشخصياتها. والرواية ليست لها لبنات أخرى تقيم منها غير الكلمات, ونحن لا يمكن أن نقول شيئاً مفيداً حول رواية ما, ما لم نهتم بالطريقة التي صنعت بها " (3).

ان لغة الرواية ليست الكلمات أو الألفاظ أو الأسماء أو الحروف, بل هي كل الوسائل التي تجعل من الرواية (رواية) وفقاً للمصطلح النقدي, انها الموضوع المطروق والشخصيات والزمان والمكان وأسلوب التعبير عن كل ذلك من (سرد ووصف وحوار) داخل العمل الروائي (4).

وأخيراً ان الرواية المبنية من عناصر الموضوع والأحداث والشخصيات والزمان والمكان تظل خيالا إذا لم تتجسد بلغة؛ لأنها الوحيدة القادرة على تألف هذه العناصر مع بعضها من خلال تقنيات السرد والوصف والحوار في العمل الروائي.

ثانيا- مستويات اللغة الروائية:

عندما بدأت الرواية الحديثة تشق دربها نحو اللغة العربية ظهرت مسألة بغاية الأهمية وهي مسألة مستويات اللغة الروائية، وبصورة أخرى ما هي اللغة التي ينبغي أن تستعمل في الكتابة الروائية؟

لقد ظهرت عدة اتجاهات (5) بين النقاد والدارسين والكتاب العرب حول موضوع اللغة الروائية، فيرى أصحاب الاتجاه الأول ضرورة مراعاة اللغة الفصحى بالكتابة، وقد نظروا إلى الفصحى بنوع من التقديس ورفضوا تدنيسها باللغة العامية، وعلى رأس هذا الاتجاه الدكتور طه حسين (6) والدكتور عبد الملك مرتاض الذي يرى " أن الكتابة الروائية عمل فني جميل يقوم على نشاط اللغة الداخلي، ولا شيء يوجد خارج تلك اللغة، وإذا كانت غاية بعض الروائيين العرب المعاصرين هي أن يؤدوا اللغة (ليس بالمفهوم الفني، ولكن بالمفهوم الواقعي للإيذاء) بتسويد وجهها، وتلطّيح جلدها، وإهانتها بجعل العامية لها ضرة في الكتابة، فلم يبقَ للغة العربية إلا أن تُزَمَّ حقائبها، وتمتطي ركائبها، وتمضي على وجهها سائرة في الأرض لعلها ان تصادف كتاباً يحبونها من غير بني جلدتها" (7).

أما أصحاب الاتجاه الثاني فدعوا إلى استعمال العامية في الحوار، والفصحى في السرد والوصف، وذلك من أجل الواقعية في تمثيل ما تنطق به الشخصيات، ويقف في مقدمة هذا الاتجاه سلامة موسى (8).

بينما يرى أصحاب الاتجاه الثالث ضرورة إيجاد لغة وسطى بين الفصحى العالية واللهجة العامية، وذلك لصعوبة الالتزام باللغة العالية وأساليب الكتابة فيها؛ لأنها - برأيهم - تمس بالمستوى الثقافي والفكري والاجتماعي للشخصيات (9).

ولعلنا نذهب مع من يرى ضرورة مراعاة الكاتب في رواياته جميع مستويات شخصياته الروائية (الثقافية والاجتماعية والفكرية).

ثالثا- مفارقة البناء اللغوي:

تلعب المفارقة دوراً مهماً في البناء اللغوي للرواية، فالمفارقة تعتمد على الإمكانات الأسلوبية التي تقدمها الخطابات المختلفة في التواصل اللغوي، فهي تعرض طريقة من طرائق استعمال اللغة في السياق النصي والسياق الخارج عن النص (10).

فالمفارقة في النص الأدبي المعاصر- لاسيما في الرواية والقصة – باتت تقنية شائعة ومحبة لدى الكتّاب, وترى سيزا قاسم هيمنة المفارقة لأن النص الأدبي العربي المعاصر قد أخذ يسجل تحولا في (العنصر المهيمن) في الاتجاه الواقعي النقدي الحديث, الذي يقوم على محاكاة الواقع, الى اتجاه يقوم على المفارقة (11).

سنتناول في هذه الفقرة طبيعة اللغة التي يستخدمها الكتّاب في رواياتهم , ومدى اعتماد الروائيين العراقيين على عنصر المفارقة في البناء اللغوي للرواية, وتحقق مفارقة البناء اللغوي عندما يحدث تناقض بين شخوص الرواية والبيئة المحيطة بتلك الشخوص, وهذا يعني وجود تناقض بين الشخصية الروائية ومستواها الثقافي والفكري والاجتماعي, بالإضافة الى تقنيات السرد والحوار التي استخدمها الروائي ومدى نجاحه في ذلك.

ويمكننا تقسيم النصوص الروائية التي بين أيدينا على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: روايات اعتمد كتّابها على اللغة الفصحى في السرد والحوار

ويشمل هذا القسم الجزء الأكبر من الروايات العراقية المعاصرة, إذ أبى أصحاب هذا القسم من الروائيين التنازل عن اللغة الفصحى في السرد والحوار ومن هؤلاء الروائيون:

- 1- شوقي كريم في روايته (شروكية)
- 2- زينب قاسم الأعرجي في روايتها (في وضح الفوضى)
- 3- علي بدر في روايته (مصباح أورشليم) و (الركض وراء الذئب)
- 4- أحمد خلف في روايته (حامل الهوى)
- 5- يونس علي جاسم في روايته (عطر زهر البراري)
- 6- سليم مطر في روايته (امرأة القارورة)
- 7- طه حامد الشبيب في روايته (طين حُرّي)
- 8- إنعام كجّه جي في روايتها (الحفيدة الأميركية) و (سواقي القلوب)
- 9- عبد الخالق الركابي في روايته (سفر السرمدية)
- 10- أحمد سعداوي في روايته (البلد الجميل)
- 11- محمد شاكر السبع في روايته (الطريق الى المشنقة)

وتتجلى مفارقة البناء اللغوي في رواية (شروكية) لشوقي كريم, إذ اعتمد فيها الروائي على اللغة الفصحى العالية في السرد والحوار, فحرص الروائي على انطاق شخصياته وتصويرها بلغة لا تتلائم مع وضعياتها ومستوياتها الفكرية والاجتماعية, وحالاتها النفسية, فالنص لا يتلائم مع أسلوب حياة الشخصيات, لاسيما ان بطل هذه الرواية (الشخصية الرئيسية) فتى غير متعلم يجز عربة اشتراها له والده لبيع النفط في الشوارع, لكننا نرى الكاتب يوظف اللغة العالية في السرد والحوار ليبني مفارقة لغوية بين الشخصيات ومستواها الاجتماعي :

" كانت تمد أصابعها, رويدا تضم أحلامنا التي ألفها الفقر, وتجعل من خطواتنا فكرة آثمة, ترمينا بيوت الإكثار التي تشبه جحور الفئران الى طين الشوارع الكارهة لوجودنا, فنشعر ضياعنا, وتمتلئ بطوننا التي لها شكل أرض يباب بالزعل, والقلق, نراقب أبواب البيوت الساكنة وهامات أشجار الحقائق وخفايا القصور, فتنتطلق الحناجر بغرائب الاشتهااء/كانت جدتي تملأ رأسي بأضويتها, ما إن يحل المساء ويصبح الليل موقظا أوادمها ودسائس مخلوقاتها وزعل أعمارهم, الذي لا يمكن أن ينتفى بغير تدخل هادم الملذات ومفرق الجماعات /كنت أريد معرفة كنه هذا الهادم الطيب الذي يكره أصحاب القصور, فيدمر حيواتهم, ويحيل أفراحهم دخانا ورمادا.!!!".(12).

وحتى الحوار- الذي تساهل فيه النقاد وسمحوا للكاتب استعمال اللهجة العامية- فقد استعمل الروائي اللغة العالية:

"- وأنت.. أأوصلك الطريق التي تعرف الى خلاصك؟!

- ما كنت بقادر وحدي..الاختيار صعب.. والمهمة قاتلة.

- إذن. دعه يربو يجرب!!.

- وأبقى أنا منتظرا تجاربه!!.

- مثلما بقي هو منتظرا عبثك!!.

- ليس لأحد بك شأن.. إن قدرت.. فتحرّك!!
- أتحرك.. كيف وأنت ترى جسدي تحرقه فورات الأرض!!
- حاول... لم لا تحاول!!
- أي عمر هذا الذي جعلني ابناً للمحاولة؟!.. منذ أزمنة, وأنا أحاول.. ماذا بعد؟!... لا شيء؟"(13).

فالروائي (شوقي كريم) لا يختار البطل المرفه الأنيق في رواياته, بل هو معتاد على اختيار شخصياته من القاع (الحضيض)؛ لأن هذا القاع ينتج إدهاشاً حقيقياً وهذا ما وجده (نجيب محفوظ) في رواياته (14).

ونلمح مفارقة البناء اللغوي في رواية (الطريق الى المشنقة) لمحمد شاعر السبع, إذ وظّف الروائي اللغة الفصحى العالية في السرد والحوار, وهذا لا يتلائم مع مستوى شخصياته الثقافي خاصة أن بطل الرواية (يوسف الباجي) إنسان غير متعلّم, فمن غير المتوقع أن يستعمل إنسان جاهل الفصحى العالية:

"لم يكن قد تلقى تعليماً كافياً إذ هجر المدرسة الابتدائية حين وصل الصف الخامس, ليلتحق بمطعم عمه المشهور في مدينة العمارة بباجته التي لا نظير لها. كما لم ينتم الى أي حزب سياسي ليطوّر معرفته, فضل عقله شبه مسطح تتراكم فيه خبرة وتجارب الحياة, ولكن ماذا يمنح مطعم باجة في مدينة مثل العمارة من خبرة وتجارب؟".(15).

إن اللغة المستعملة في رواية (الطريق الى المشنقة) لا تتناسب مع المستوى الثقافي للشخصية وهذا ما ولّد المفارقة اللغوية.

ونجد المفارقة اللغوية في رواية (في وضح الفوضى) لزينب قاسم الأعرجي, إذ استعملت الروائية اللغة الفصحى في السرد والحوار, وربما كان ذلك حرصاً منها على اللغة العربية هو ما جعلها تذهب الى تقويل الشخصيات بالفصحى, والفصحى لا تتوافق مع المستوى الثقافي والفكري للشخصيات:

"- جئت لزيارتكم لأنني احبكم..

-أيتها الأفعى, انتِ قاتلة..

بوقاحة غيرت ملامح وجهها وقاطعت نورس..

-القاتلة هي انتِ, انتِ تشيعين التمرد في روحها, لأنك عانس وتغارين منها..

القاتل أخوك الأكبر, حين ضربها بجنون ليلة الحادث, وحصل ما حصل.."(16).

إن استعمال الكاتبة للغة الفصحى في السرد والحوار لم يمنعها من توظيف بعض الكلمات من اللهجة العامية, مثل: (استكان, البيتونة, جفجير, التكة, البسطية, الغشيمة, البرياني... الخ).

إن اللغة في روايات (شروكية) و(الطريق الى المشنقة) و(في وضح الفوضى) لغة واعية ودقيقة ومستفزة, إذ تمكنت من إثارة المتلقي وفتح باب الفجوات بما احتوته من مفارقات بين الشخصيات ومستواها الثقافي والفكري والاجتماعي.

القسم الثاني: روايات اعتمد كتابها على اللغة الفصحى في السرد والعامية في الحوار, وذلك من أجل الواقعية وهذه الروايات هي:

1- وحدها شجرة الرمان للروائي سنان انطوان

2- مكنسة الجنة للروائي مرتضى كزار عباس

والحوار "حديث يدور بين اثنين على الأقل, ويتناول شتى الموضوعات, أو هو كلام يقع بين الأديب ونفسه أو من ينزله مقام نفسه كربة الشعر أو خيال الحبيبة مثلاً"(17). أما وظيفة الحوار في النص فهو يسمح بتعبير الشخصيات عن نفسها بصورة لا توفرها التقنيات الروائية الأخرى, وكذلك يقوم بتأكيد واقعية الرواية وترباطها بين الماضي والحاضر والمستقبل(18), فإذا اختلفت وظيفة الحوار كانت المفارقة.

ومن أمثلة هذا القسم رواية (مكنسة الجنة) لمرتضى كزار:

"مُلاية: أريد تاخذين الي خيرة, عندي شغلة مهمة. فتخبره بأنها غير متوضأة الآن, وهي لا تعلن عن نزاهة مهنتها بالاستفتاح بالقرآن بل هي لا تفتحه حقاً إلا وهي متوضأة أو مبلة, لكنه يلح عليها, فتقول له: أفتح أي صفحة من ذلك المصحف على الرف, وضع فيه عود بخور منقضي من الحائط, وتدخل الى البيت لتعود بعد لحظات وهي مبتلة, وتفتح المصحف من العود التي وضعت هي قبل لحظات.. (زينة خيرتك زينة), وتسال حميد طبانة عن هذه الشغلة المهمة.. فيجيبها:

- شغلة مهمة.. مهمة مُلاية.. شنو طلعي مُلاية.
- طلعلك آية ((وشددنا عضدك بأخيك))
- يعني شنو مُلاية؟ أنا اريد ان اشترى حماراً "(19).

إن المدقق في النص يرى التناقض بين العبارتين التاليتين:
 "وشددنا عضدك بأخيك" و "اريد ان اشترى حماراً" فكلية اخيك تتناقض مع ما يريده حميد طبانة, على اعتبار (الأخ/إنسان) و (الحمار/حيوان), ولا يمكن شد الأزر بحيوان, فتتولد المفارقة من خلال التناظر بين وقار العبارة الأولى و دونية العبارة الثانية.

القسم الثالث: روايات أعتمد كتابها على الفصحى في السرد والتنويع بين الفصحى والعامية في الحوار, وهذه الروايات هي:

- 1- مقامة الكيروسين للروائي طه حامد الشبيب
- 2- فرانكشتاين في بغداد للروائي أحمد سعداوي
- 3- الحياة لحظة والإرسي للروائي سلام إبراهيم
- 4- ملوك الرمال وحارس التبغ للروائي علي بدر

إن اعتماد الكاتب على التنويع بين الفصحى والعامية في الحوار بحد ذاته مفارقة, فنحن نرى أن الكاتب يستعمل الفصحى تارةً والعامية تارةً أخرى في الحوار:

((وين راح تسكن" سألني وهو يمسح جبينه بالمنديل:

"فارس حسن تعرفه.. " قلت له.

قال "نعم"

"هو راح يجي للمطار وياخذني معه.." (20).

فالحوار يجري بين البطل السارد (صحفي) وصحفي آخر يجهل اسمه، وجاء الحوار باللهجة العامية، بينما جاء حوار آخر بالفصحى دار بين الموسيقار حيدر سلمان وحسن قزلي (الناطق باسم حزب توده):

((توقف حيدر سلمان أمامه.. ثم قال له:

"هل هناك من مساعدة.."

"أطلب يا موسيقار.."

"أريد أن أهرب الى سوريا"

"أمرك.." قال له.)) (21).

لا يمكننا القول في هذين النصين أن الكاتب كان يراعي المستوى الثقافي والاجتماعي للشخصية، فكل الشخصيات واعية ومثقفة ومع ذلك جاء النص الأول باللهجة العامية والنص الثاني بالفصحى.

هوامش البحث

(1) ينظر: في نظرية الرواية: 102.

(2) ينظر: الكلمة في الرواية: 242.

(3) أدب عبد الرحمن الشرقاوي: 287.

(4) ينظر: الخطاب الروائي: 16.

(5) ينظر: فيمشكلات السرد الروائي: 34.

(6) ينظر: فصول في الأدب والنقد: 111 وما بعدها.

(7) في نظرية الرواية: 106.

- (8) ينظر: تقنيات اللغة في مجال الرواية الأدبية: 60.
- (9) ينظر: قضايا الفن القصصي: 30.
- (10) ينظر: حياد السارد والرؤية المفارقة: 9.
- (11) المفارقة في القص العربي المعاصر: 144.
- (12) شروكية: 12.
- (13) المصدر نفسه: 185-186.
- (14) ينظر: رواية شوقي كريم حسن "خوشية" الفقراء يحتاجون الى من يدون تواريخهم.
- (15) الطريق الى المشنقة: 33.
- (16) في وضح الفوضى: 24.
- (17) المعجم الأدبي: 100.
- (18) ينظر: معجم مصطلحات نقد الرواية: 83.
- (19) مكنسة الجنة: 17.
- (20) حارس التبغ: 75-76.
- (21) حارس التبغ: 246.

مصادر ومراجع البحث

أولاً: النصوص الروائية

- حارس التبغ: علي بدر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2008.
- شروكية: شوقي كريم، دار ميزوبوتاميا للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، ط1، 2009.
- الطريق الى المشنقة: محمد جاسم السبع، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 2013.

- في وضع الفوضى: زينب قاسم الأعرجي, مطبعة العكيلي, بغداد, 2005.
- مكنسة الجنة: مرتضى كزار عباس, أزمنة للنشر والتوزيع, عمان, ط1, 2009.

ثانياً: الكتب

- أدب عبد الرحمن الشرقاوي: د. ثريا العسيلي, الهيئة المصرية العامة للكتاب, القاهرة, 1995.
- الخطاب الروائي: ميخائيل باختين, ت: د. محمد برادة, دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع, القاهرة, ط1, 1987.
- فصول في الأدب والنقد: د. طه حسين, دار المعارف, مصر, ط4, 1969.
- في مشكلات السرد الروائي (قراءة خلفية): د. جهاد عطا نعيمة, اتحاد الكتاب العرب, دمشق, 2001.
- في نظرية الرواية: د. عبد الملك مرتاض, سلسلة عالم المعرفة, الكويت, ط1, 1998.
- الكلمة في الرواية: ميخائيل باختين, ت: يوسف حلاق, وزارة الثقافة, دمشق, ط1, 1988.
- معجم مصطلحات نقد الرواية: د. لطيف زيتوني, دار النهار للنشر, بيروت-لبنان, ط1, 2002.
- المعجم الأدبي: جبّور عبد النور, دار العلم للملايين, ط2, 1884.

ثالثاً: الدوريات

- تقنيات اللغة في مجال الرواية الأدبية: د. محمد العيد تاورته, مجلة العلوم الإنسانية, العدد 21, أيار, 2004.
- حياد السارد والرؤية المفارقة (قراءة في رواية attentat لياسمين خضرة), بن صالح نوال, مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية, المغرب, العدد 7, 2010.
- المفارقة في القص العربي المعاصر: سيزا قاسم, مجلة فصول, المجلد الثاني, العدد 2, 1982.

رابعاً: المصادر الإلكترونية

- رواية شوقي كريم حسن "خوشية" الفقراء يحتاجون الى من يدون تواريخهم, عبد الجبار العتابي, مجلة إيلاف, العدد 4730, السبت, 2014, <http://elaph.com>.